الدكتور امين يوسف الخوري

١٨٥٢ – ١٩١٩

بقلم جرجي ابرهيم نصر

كان طبيباً وأديباً وشاعراً ، ولد في بكاسين في ١٠ من نيسان سنة ١٨٥٢ وهناك نشأ وترعرع مع شقيقيه شاكر وخليل ، وتلقى علومه الابتدائية فيها ثم في مدرستي البطريركية والآباء اليسوعيين في غزير .

وفي سنة ١٨٧٤ نزح الى مصر طلباً لدرس مهنة الطب في مدرسة القصر العيني على نفقة الحكومة اللبنانية وعكف على العلم عاملاً مُجداً مدة ست سنوات فأحرز شهادته الطبية ١٨٨٠ وفي ١٨٨٢ التحق بخدمة الحكومة المصرية كطبيب مركز في مديرية أسيوط ثم تنقل في وظائف شتى أهمها :

خدمة الجيش بوظيفة مدير الحركة الصحية وذلك سنة ١٨٨٣ ومكث فيها مدة سنة ونصف ثم عُيّن في مصلحة الصحة مفتشاً على المواليد ثم طبيبا لمستشفى شبين الكوم ثم طبيباً لبلدية دمياط مدة تسع سنوات : وكان في جميع الوظائف التي عُيّن فيها مثال الاخلاص في العمل والعطف على الانسانية .

وقد ألّف رحمه الله كتباً فلسفية وطبية وروائية نشر منها :

فلسفة الأشياء ، والوقاية ، ورسائل في الهواء الأصفر والطاعون وتعليم الفتيات والوافدة والعلة الأولى ورواية ريحانة النفوس في انتخاب العروس ، وتخميس قصيدة محمد بن زريق البغدادي وضعها في رثاء اخيه خليل ،

ومقالات فلسفية منها : لماذا نحن هكذا ؟ وأدبية وطبية وقصائد شعرية . وله آثار مخطوطة في مواضيع متنوعة لعبت بمعظمها أيدي الضياع . وقد ترجم جلسة بحوث ونال الوسام المجيدي والنجمة المصرية ومدالية فيكتوريا السودانية وسواها من مداليات دولية .

وأنعم عليه بالرتبة الثالثة الملكية . ثم اعتزل خدمة الحكومة المصرية وأخذ يتعاطى صناعته في مدينة المنصورة التي استقرّ فيها نهائياً . ولمّا توفيت زوجته حزن عليها حزناً شديداً ورثاها بقصائد تفيض لوعةً وأسىً ، ثم استوحش في دار غربته وهزّه الحنين الى وطنه الأول فعاد الى بكاسين ليقضي فيها بقيّة أيامه ، وامتاز رحمه الله بتقواه وإخلاصه لدينه فلقي وجه ربّه في بلدته بكاسين نهار الجمعة في ٢٣ من تشرين الأول ١٩١٩ ودُفن في مدفن العائلة الخاص بالأسف والتكريم :

وهاك مثالين من نثره : قال في تأبين رئيس مجلس الوزراء الأسبق بطرس باشا غالي : (١٩٠٨—١٩١٠) .

إنّ لمن المقرّر الثابت ، أن الشيء تعلو قيمته كلّما عزّ وجوده ، ويحرص عليه ويؤسف على ضياعه وفقده كلّما اشتدّت الحاجة اليه وتحتّم لزومه ، فاذا راعينا هذا المبدأ الطبيعي بل الحقيقة الثابتة ، ظهرت لنا جلياً عظمة فقيدنا العزيز وعلوّ منزلته ، ومكانته من القلوب ، لو شعرنا بشدة الأسف والأسى على فقده .

كان بطرس باشا غالي نابغةً من أفراد الشرق والغرب فقد اتفقت جرائدها ومجلاتها بأسرها اتفاقاً لم يسبق له مثيل ، على أن فقيدنا العزيز كان السياسيّ المحنّك . والرجل المدرب الذي تفتخر بأمثاله ، ليس الأريكة الخديوية فقط بل العثمانية بأسرها . وإن الحالة الحاضرة كانت في أشدّ الاحتياج اليه والى آرائه الصائبة وخبرته واخلاصه .

إن الصفات الحميدة والسجايا الكريمة التي وهبته اياها الطبيعة واكتسبها بالخنكة ودرّبته عليها تقلّباته في مناصب الحكومة السنين الطوال المتواصلة من أقلّها لأجلها ، وتتلمذه على ايدي أشهر السياسيين المعدودين ، مثل شريف باشا ونوبار باشا ، وتتبّعه لسياسة عصر اسماعيل مهبط اسرار السياسة وقطبها الفرد ، فضلاً عمّا أوتيه من الذكاء الوقّاد وحضور الذهن ، جعله ولا شك في مقدمة الذين يشار اليهم بالبنان .

كان فقيدنا العزيز : ذكيّ الفؤاد : انيس المعشر : ليّن العريكة . منيباً وقوراً . حليماً في الشدة : بعيداً عن الادعاء والكبر . مخلصاً لوطنه ومليكه : يتساوى عنده كل ابناء الانسانية . حريصاً على مكانته . لا يتداخل بد لا يعنيه . مخلص النصح اذا استشير . وفيّ الوعد مخلف الوعيد .

وكان أباً لأسرة فاضلة : عوّدته الحنان والرأفة : وابناً لأب كريم علّمه البرّ والاحترام . وذا قربى كرام عوّدوه المعاضدة وحبّ الخير : ذاق مرارًا استبداد الأولين : وحلاوة حرّية المتأخرين : وكان في كلا الدورين المستشار الصادق والمشير الصائب والخادم الأمين والمخدوم الكريم الحليم والوطني الغيور : عابوا عليه اشياء توهّموها عيباً : وما كان إلاّ كما تعاب الشمس لعدم ظهورها في يوم ماطر : تلبّدت غيومه . وقصفت رعوده : وعصفت ذوابعه : فسخط الغبيّ على الشمس : وجهل ان الذنب في ذلك لاضطرابات جوّه وتقلبات أهواء أرضه : وان الشمس هي هي لم تتغيّر ولم تزل عاملة كما كانت بارسال أشعّة حرارتها ونورها على تبديد تلك الغيوم وتسكين تلك الذوابع بما لها من القوّة والجهد : فلو نظر ذاك الغبيّ العائب الى كلّ فضاء جوّه بعين الباحث الخبير . لبان له تأثير تلك الشمس المحتجبة على جلاء تلك الغيوم وتبدئة تلك العواصف في الكثير من أنحاء فضاء جوّه القاتم .

ولكن لنكد الطالع كان ذاك العائب قصير النظر لا تمتدّ بصيرته الى اكثر ما يضلّل جسمه النضيل . فثار على تلك الشمس المتّقدة غيرةً على صالحه : والعاملة على خيره : وعمل على طمسها : وساعده سوء البخت على اتمام ذاك العمل الأثيم ...

ومنها :

فما كان والله ليدور في خلّد أحد أن تنتهي حياة فقيدنا العبقرية على هذه الصورة : إنّما كان ذلك لكمال سعده هو ونحن : لأنّ استئثاره على مذبح الغباوة والجهل : رفعه أضعاف أضعاف ما رفعته حنكة الخمسين سنة التي قضاها مواصلاً بكلّ أمانة واخلاص : خدمة وطنه العزيز . اذ جعله وحده الخالد الذكر والأثر : والمبكي كلّما ذُكرت مصر بمصابها : والمفتقد كلّما أظلم ليلها .

وقال يرثي صديقه المرحوم الدكتور أحمد بك شافعي وقد استهلّ رثاءه بالكلمة التالة :

ما انصفتك عيوني وهي دامية ولا وفى لك قلبي وهو يحترق

نعم ما انصفتك يا شافعي عيوني حتى تسيل من الآماق حزناً عليك؛ ولا وفى لك قلبي حتى يخرج من صدري وينضم اليك . فقد كنت للقلب سويداءه ولانسان عيني ماءه . ولي البلسم الشافي اذا جُرحتُ . والحصن المنيع اذا أبحتُ . والقوّة الواقية في العلّة . والقدم الثابتة في الذلّة . تتّقد على وفائك واصدقائك غيرةً ووفاء ؛ وتلتهبُ على جنسيتك حماساً وذكاء . وحيداً في همتك ؛ فريداً في شيمك ؛ لا يثنيك عن الحقّ لومة لائم ، ولا باليت على ضميرك الحرّ بالملوم ، بل كنتَ للحرّية العضد القويّ ، وللأخاء الخلّ الوفيّ . وللمساواة حامل العلم ، وللاحرار وافي النعم ، طيب مدقّق ، وأصولي محقّق ، يتفجّر الذكاء من نظراتك . ويتدفّق الوفاق بين سلامة قلبك وبحر كلماتك ، فكم حاول الذين في قلوبهم مرض أن يطفئوا بأفواههم نور غيرتك ، فأبى الله إلاّ أن يتمّه ، وكم افتروا عليك بالكذب ورموك بالأفك فكذّبتهم ، لك الف همّة وهمّة ؛ فالحجاز شاهد بصوابية أعمالك ؛ ومدرسة حلوان تدلّ على سموّ مقاصدك ونبل افعالك . فرحمك الله وسع حزني عليك وحسناتك ، ورضي عنك عداد نوحي عليك ومبرّاتك . وألهمني وآلك صبراً جميلاً ، وجعل كلّ نجلٍ من انجالك النجباء عنك بديلاً .

إن تله بالنفس عن سواها فنيك دون السوى منساها
فالصبّ ما سام حبّ سلمى يرتاع إن مسّه قلاها
فكم بكى الدار ذو شجون برقة فارقوا رباها
فراح دامي الفؤاد يشكو دهراً رماد بما رماها
ولو تخلّوا عن التحلّي بها لما نالهم أذاها
كيغض من يتّبعوا حمانا أعني الألى حرّموا حواها
لو كنتُ منهم لما دهاني موتٌ عليمٌ بمقتضاها
بدر توارى عن المعالي فلتبكِ من بعده سناها
قد نال سامي العلا صغيراً وقد دعته مصر فتاها
لذا أناطت به أموراً رأى ذوو الحلّ ان يراها
فأمّ أرض الحجاز يبغي بأمرها البحث عن ويباها

وأثبت الداء دون ريب وأنقذ العُرب من بلاها
من ثم نالت به وثوقاً من دول الغرب بارتضاها
وخصّه جلّيا بكتب شكرًا على ذمة رعاها
ولم يزل يرتقي بحزم يجلّ قدرًا عن أن يضاهى
وأكسب الصحةَ اعتدالاً وقد حباها بما حباها
وكان حظّ التقييد منها ان وجّهت نحوه جباها
جازته بالعزل لا لذنب جناه بل حسب مشتهاها
جيري اشتهت راتب اعجازي وخصّ من جار في قضاها
وشاع هذا وما سمعنا بأن ذا سلطة نهاها
كأن وحياً به أتاها من مصدر فوق مرتقاها
ضغط يميل القلوب وهناً حزناً على فقد مبتغاها
وهال من العدل ظلم نفس لم تثن العمر عن هداها
تلك التي قد أتت فعالاً ترضي البرايا ومن براها
منها حنانٌ على اليتامى : حلوان ، مصر به تباهى
وبسط كفٌّ بغير منّ لمصلح شأنه نداها
وهمة همّها المعالي من دونها الزهر في شذاها
وفكرة تجتلي المعاني فينجلي الحقّ بانجلاها
مضى وابقى اسىً بقلبي اذا تناهيت ما تناهى
وشبّ في القلب نارُ حزن لا يخمد الدهر من لظاها
فلتحي ذكراك يا مثيراً بموته حزن من وعاها
وليحي دامي السحاب أرضاً ضمّك يا شافعيّ ثراها

نماذج من شعره : شُغِفَ بالشعر منذ صباه ، فكان وعاءً نفيساً ، تنبض أبياته بالحبّ والوفاء ، وقد احتفظنا بصيغة هذه القصائد كما وردت في الأصل ، ولم نشأ أن ندخل عليها تحويرًا أو تصحيحاً بل اكتفينا بالاستبقاء على روح الشعر ونَفَس الشاعر :

وهذه أبيات يُعدّد بها مناقب المرحوم الكونت خليل صعب ١٨٤٢–١٩١٢ المتوفّى في مصر ويصف آثاره أصدق وصف وقد ضمّنها تاريخاً لوفاته قال :

الدكتور اديب يوسف الحوري

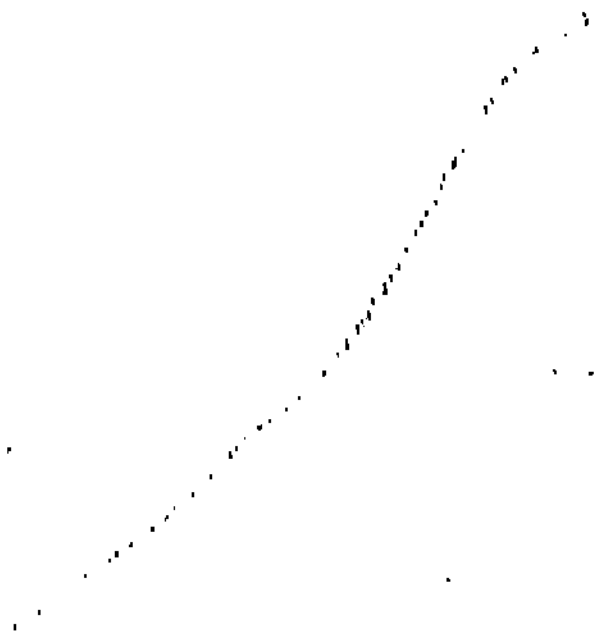

كان صعبٌ من أسهل الناس خُلقاً حـازم الرأي مالكاً أصغريـه
ليس في برّه الجزيـل اختصاصٌ كلّ ذي حاجـة سؤالٌ لديه
لا يُبـاهي إنْ سالمتْهُ الليالي ساكنُ الجأش إنْ أساءتْ إليه
مُنيرٌ بالأمور جَلْدٌ حصيفٌ خابرٌ من زمانـه حالتيه
عشْ سعيداً حجّةً لم يشنها عمـلٌ عـاد بالملام عليـه
شادّ مجـداً بالبرّ « أرّخْ » أثيـلاً أحسن اللهُ في الضريح اليـد

٥٤٢ ١١٩ ٦٦ ٩٠ ١٠٤٥ ٤٦

١٩١٢

وقال يرثي صديقه المرحوم جبران كحيل المتوفى غرقاً في بحر النيل سنة ١٩٠٣ :

لدى الفُلك تولِيها الرياحُ تهجّماً تأبّطَ نهرَ النيـل جبرانُ مرغما
تأبّطه واستطرد السيرَ مسرعاً نـالتْ آمـاتِنا على أثره دما
طفا فوق بحر الروم كالبدر طالعاً فصحّ لنا تشبيهنا البحرَ بالسما
وهابَ سناه الحوتُ في برج نوره فراح حسيراً لم ينل منه مطعما
غدةَ رآه اليمّ أكبر قيمةً من الدرّ مختاراً لـه القلبُ منجما
وأين ندى كفّيك أثرى به السوى زماناً : فلمّا غاضَ أصبحَ مُعدِما
فلا نالنا من بعده الدهرُ فـاجعٌ وجادت ثراةُ المُزن تنهلّ في الحمى

وقد أرّخ لوفاة المرحومة اميلي صعب فقال يرثيها بلسان زوجها :

أسأتَ يا دهرُ فعلاً مع خليلك في مـا قد فعلتَ بنا أودي بآمـالي
أفضيتَ إلفي عني حيث لا أملٌ في أوبة الإلف في مستقبل الحال
شمس توارت ضحىً من بعدما طلعت في أفق داري باسعـاد واقبال
ومذ ثوت في الثرى أرّختُ من أسفي يا لحدُ فيك لقد ضيّعتَ آمالي

٩٠ ١٥١ ٥٣ ١١٠ ١٣٤ ١٢٨٠ ٨٢

١٩٠٠

وقال يرثي المرحومة أمرأة عمّه مرتا زوجة شهدان ليوس الخوري المتوفاة في ٢ أيار ١٩١٣ في بلدته بكاسين عن ٨٣ سنة وقد دعاها « نفشات مصلور » :

يفاجئنا الزمانُ بكلّ خطب ... وتُفجعُنا المنونُ بكل غـال
ولسنـا بالكوارث نازلات ... بغير الموت إن فدحت نبالي
ولو غير المنون غـزا حمانا ... حمينـاه بمـا تُحمى المعالي
بآداب وإثـراء وعلـم ... وجـاه والمثقّفة العوالي
فهـل عرفت يجدوانا المعالي ... فمدّتْ نحونـا كفّ السؤال
ومـا اختارت كعادتنـا دواماً ... لسائل جودنا إلاّ اللآلي
أماثلُ من ذوينا كلّ فرد ... بعيد الذكر مفقود المثال
وكلّ مصونة خود نُوارٍ ... تنـاهتْ بالجميل وبالجمال
كمن هابتْ بها أيدي المنايا ... فكان تنسّك الخطب العضال
مضت لله تاركةً ذويهـا ... بمهيجة مُوجّعٍ وجفون سال
يجدّد حزنُها في غير بالٍ ... ومنـه ما تقـاسي غيرَ بال
لقد فجعت بنيها بالتنـائي ... وجافتْ خيرَ كنوءٍ بالزيال
وكانت خير من رأفت بوُلدٍ ... وأصدق مخلصات للبعال
فزادتْ دمع جفنٍ غيرَ راقٍ ... وهاجت وجدَ قلبٍ غيرَ سال
فأيّة درّة فقدتْ لدينـا ... بها قد كان جيدُ الصون حالي
كمال صيانة وكمالُ عقـلٍ ... وحسنُ تديّنٍ وجمالُ حـال
يتيمة عفّةٍ وخضمّ فضلٍ ... وجودةُ الأواخر والأوالي
فلو جاؤوا لهـا ارّخ بندٍّ ... لفُضّلتِ النساءُ على الرجال

٥٦ ١٣٤٠ ١٤٢ ١١٠ ٢٦٥

١٩١٣

وقال يرثي والده المتوفى سنة ١٨٨٠ بقصيدة نثبت منها الأبيات التالية :

لي بعد بُعدك لوعةُ المنكوب ... وفؤادُ مهجورٍ وذلّ غريب
وعذابُ معمودٍ ووحشةُ موحدٍ ... وحشا السليب وعفّةُ المشجوب
ودموعُ ثاكلـةٍ وحسرةُ نادمٍ ... وشجون مبعودٍ وقلبُ كئيب
ما كنت أعهد يا أبي بك قسوةً ... حتى دعوتُ وأنت غير مجيب
أسفي على تلك الفصاحة والذكا ... وعلى صباحة وجهك المحبوب
وعلى البلاغة والنباهة والندى ... وعلى علوّ مقامك المرهوب

وعلى الشجاعة والبراعة والوفا وعلى حنوّك والرضا المرغوب
إن أنسَ لا أنس اختفائي راحلاً يستي الخدود بدمعه المسكوب
وبردّدًا أبُنيّ لا تطل النوى لم يبق لي جلدٌ على التغريب
أفنيت عمري في وداع بنيّ هل من جمع شمل أو شفاء قلوب

ومنها :

يا واحداً فوق الضريح منادياً من وهو حيٌّ كان خير مجيب
ومقبّلاً قبرًا حواك وساقياً ريًّا تراهُ بدمعي المسكوب
ومخاطباً ذاك الضريحَ كمن بلي قبلي : يُفقد مُنًى وموت حبيب
فلبَيْنِهِ يا قلبُ كن متفتتاً وعليه وجداً يا حشاشةُ ذوبي

ومن قوله في رثاء المرحوم حبيب الغريّب من دير القمر المتوفى في مصر ما يلي :

هنا دُفنت آمالُ آل غريّب وضمّ الثرى الغالي رفاتَ حبيب
وفارقت الأهلَ الكرامَ وصحبَهم وشُقّت قلوبٌ قبل شقّ جيوب
يُنادونه والدمعُ يهملُ والحشا تذوبُ التياعاً وهو غيرُ مجيب
لقد خيّب الموتُ المظلوم بدائه شوافي عقاقير وعلمَ طبيب
وفاجأه والزهرُ يعقد والجنى قريبٌ، ووجه الدهر غيرُ قطوب
فيا رحمة الله اسكبي فوق قبره سلامٌ على قبرٍ يضمّ حبيبي

وقال يرثي ابن عمه المرحوم نعمان الخوري قنصل فرنسا في مغادور الغرب الذي توفاه الله في ١٥ آب ١٩١٠ بعد عودته من فضّ مشكلة مقتل الدكتور موشان الفرنسي : بين حكومتي فرنسا ومراكش :

تنابي على الغرب القصيّ وبيتما مغادورَ تنعي سيّدَ القوم والحمى
وعوجا على لبنان ثم اشخصا الى «بكاسين» حيث الحزن والغم خيّما
نشقّ على نعمان حيب قلوبنا ونبكي ونستبكي على قبره دما
ونلبس أثوابَ الحداد على فتىً فقدنا به الرشد اليقين المدعّما
فتى العزم والاقدام انّى تأخرت عن القصد احرار الرجال تقدّما
فتىً كان في مصر وعدن وتونس ودار النجاشيّ العميد المحكّما

وفي المغرب الأقصى بنى صرح عزّه ... تقاوم فيه الدهر لن يتهدّما
وبدرٌ نبيٌّ في الشرق مطلع نوره ... وفي الغرب وافاد الخلق فأظلما
وعجله من سفح لبنان رسمه ... يشاد مزارًا فاستجاب تكرّما
فشيّعه الامجاد من كل شيعة ... وكان الأسى فوق الرؤوس مخيّما
على زفرات جفّف الريق حرّها ... لذلك كان الكلّ منها على ظما
تناجوا بما فيا يتيح اصطبارهم ... وقد منعتهم بالتوالي التكلما
أنعمان مهلاً كيف تكتحل الثرى ... وما اكتحلت عيناك الاّ التنهما
وما ذاق صاباً من شرابك مؤنسٌ ... فكيف تديرُ اليوم كأسك علقما
وكنتَ سراج البيت حولك أهله ... فكيف تؤمّ القبرَ في القفر مظلما
وكيف خلعتَ الحسن غضاً لترتدي ... نسيج رميم حاكه البين أسحما
سلامٌ على ذا الحسن أودى به البلى ... وكيف نعاني الشوق أبقى التيّما
سلامٌ على المعروف وافاك في الثرى ... فلم يلق مثلي من نواك التألّما
سلامٌ على إلمام فطنتك التي ... بها كنت عن وحي القلوب مترجما
سلامٌ على صبري فما زال صرحه ... تناوشه الأكدارُ حتى تهدّما
أخي وابن عمي واعتزازي ومؤلي ... ولذّة عيشي وافتخاري وكلّما...
تمهّل يودّعك الأمينُ بنظرة ... فما أنت بالنائي فتغدو مسلّما
تفلّص عنه ظلّ انسك بغتةً ... فما أعظم البلوى قضاءً تحتّما
فلو كان في بعض اصطبار رجوتُه ... لقلب أخيّات عليك تكلّما
أخيّاتُ كنّ الأمس منك بمغنم ... فأصبحن ممّا صرت للهمّ مغرما
توجّج في احشائهنّ لواعج ... فيملأ شئى دمعٌ على الخدّ قد همى
أنعمان ما يجدي التصبّر قولهم ... فما في الأسى ما ينقض الأمر مبرما
ولا قول «بيشون» الوزير مؤبّناً ... علاك بأن كنت الخطير المعظّما
ولا عجب صبري مقولٌ ذوي التقى ... على فقدك المشؤوم انك في السما
سأبكيك ما أحيا وأرثيك موجعاً ... ويبكيك من يتلو مراثيَّ بعدما..

وكتب تحت رسمه الأبيات التالية :

هـذا أنا الخلُّ المشـ ... ـوقُ الى المواطن فارقبوهُ
ولئن يمُتْ في غربةٍ ... فابكوا عليـه واندبوهُ

أوصى الأمينُ بحبكمْ ووداده كمْ وكذا أبوهُ
فهو الأمينُ ولن يخـ ـنْ بأهله إنْ يصطبوهُ
لا تودعوه الرمس بل بين الأزاهر غيّبوهُ

وقال يهنئ صاحب العطوفة نسيب بك جنبلاط باعادته قائمقاماً على قضاء الشوف سنة ١٩٠٢

شعر

سعدُ السعود بدا في الأفق طالعهُ يهدي التهاني الى الدنيا وما فيها
والفرع أحرز ما للأصل من شرفٍ وسلّم القوسُ ربّ الكون باريها

توشيح — (مذهب)

ثغر بشرى الأنس لمّا ابتسما أوترّ الأفقَ من الصبح قسي
بدّد الأغيارَ عنا ورمى بسهام النور قلبَ الغلّس

دور

طالعُ الأسعاد بالرغد بدا وسنى راياته البيضاء ضاء
زاح عنا ليلُ بؤسٍ وبدا بسهام الفوز مأثورَ المضاء
فعفونا عن زمان عربدا حين وافى يبتغي منا الرضاء
ورفعنا للتصابي علماً أمّهُ كلّ كميٍّ كيّس
وحمدنا وغدَ عيشٍ طالما خلتنا من صفوه في عرس

دور

بكت الأزهارُ من جور الدجى بدموع الطلّ فوق الطلل
وصبا لبنانُ للروض النجي مذ رأى بالطيب يبرء العلل
حيثما الأضباحُ فيه انفرجا عن مرأى حسنه لنسقل
غرّد القمريُّ والطلُّ دمى واكتسى الروضُ وشاحاً سُندسي
وبدا للشمس في أفق الهنا منظرٌ فيه سرور الأنفس

دور

فابتهجْ يا قلبُ قد زال الألمْ ولنا راقتْ أريقاتُ العفا
وبنا كل الهنا أنساً ألمّ وبُعيدَ السُقم فزنا بالشفا
أوَلم نظفر بما تهوى ألم تحل اكوابُ التهاني مرشفا
فربى لبنان فيها قد نما فتنُ الأمن الزكيّ المغرس

وتـــلالا وتعـــالى في سمـــا مجده ؛ بدرُ الجمال المؤنس

دور

يـــا رشيق القدّ يا باهي الجمالْ يـــا غزالاً رقّ فيـــه غزلي
كلّما زدتُ جرىً زدتَ دلال قد وهى صبري وضاعتْ حيلي
إنْ تَرُمْ بالصدّ قتلي يا غزالْ مـــا احتيالي في الهوى ما عملي
فلِمَ أذرفُ الدمـــعَ دمـــا في الهوى يا فتنةَ البئس
مـــا سمعنا قطّ عن ظبي الحمى أنّ فيـــه قسوةَ المفترس

دور

عـــاذلي إنْ لم تدعني فـــاقتصدْ لم يكن حبّي طوعاً باختيارْ
فـــلامي في هواهُ لم يُفد ما قضاه الله لي في الخلق صار
أنـــا راضٍ إنّ قلبي يتّقـــد فاتّئدْ في اللوم زدتَ الكيّ نـــار
والحشا يزدادُ وقداً كلّما طافَ معسولُ اللمى بالأكؤس
لحظُهُ في القلب يرمي أسهماً صائباتٍ عن عيونٍ نعّس

دور

أجمعَ الناسُ على حبّ الجميل انّمـــا الخُلْقُ بدا فيما يَحبّ
درُّ الألفـــاظ أم طرفٌ كحيل أم لطيفُ الدلّ أم حسنُ الأدب
والفتى طبعاً لمن يهوى يميـــل ويرى مـــا فيه المذاق المستحبّ
وأنـــا الحبّ بقلبي إن تمـــا فهو عذري شريفُ المغرس
أنـــا أهوى كلّ حسنٍ إنّمـــا في السجايا عفّـــةٌ لم تدنس

دور

فاتني حُلْمي لك الروحُ فدى ما بقي من رمقي غيرَ النفسْ
قـــل ألم نشرح على كيد العدى ودعِ العـــاذلَ يقرا في عبسْ
إنّ صبري في هواكم نُفدا وعليّ الرشدُ بالغيّ التبسْ
كدتُ أشكو منّ زمان ظلما حاقداً لولا حيـــاة الأنفس
جنبـــلاطيّ سليـــلُ الكُرَمـــا هبـــةُ الرحمـــان للملتمس

دور

ألمعيٌّ كوكبُ الفخر حسيبْ مـــا من الخائف وقتّ الوجـــل
والى العليـــا بالفضل نسيب ملجأ القاصد ذو القدر العليّ
كلّ من يلقـــاه يلقى ما يَطيب من نوال الجود عذبَ المنهـــل

« قل لمن عارضه كن فهما هل ترى الدخانَ مثل النبس »
« إن الله تعالى نعما لم ينلها أحدٌ بأمرس »

دور

مذ تولّى الحكمَ لا ذاق الردى قد تجلّى العدلُ فينا وأقامْ
خشيةٌ من نشره أنْ ينقدا قد أقاموه له قايتقام
فلذا أضحى حنانا سرمدا فله منّا انحنا في ذا المقام
لم يَرُمْ فخرًا بهذا إنّما رامَ أحياء الربوع الدرّس
وبماضي حزمه إن ينفعما عروةَ الظلمَ وقلب السجّس

دور

إنْ سألتَ اليسرَ من أعوانه فإليه كلُّ ذي نعمى يشيرْ
أو سألتَ المجدَ عن أركانه فنسيبُ ابن السعيد ابن البشيرْ
مَن أقامَ العدلَ في لبنانه ورأى الحقَّ به تعمّ النصيرْ
دوحةٌ طالتْ وفرعٌ نجما روحُ عدلٍ جدُّ المجدِ كسى
ولكمْ ضأتْ قد أروى الظما من ندى بحرٍ يديه السلسِ

دور

مَنْ به كلُّ مقامٍ شرفا وبمجدِ العزِّ والمجدِ ربي
لم يزل مولىً كريماً منصفاً يهبُ السائلَ قبلَ الطلب
إنْ يقل جدّي «بشيرٌ» لكنى وسعيدُ الجنبلاطيُّ أبي
موئل العافي وأسمى من سما ذروةَ المجدِ الأثيلِ الأنفس
وفعمةً شادوا وسادوا هما ما عهدنا فيهمِ الدهرُ مسي

دور

أورثَ الحكمَ لكم ربُّ العلى عن جدودٍ رغم أنفِ المدّعي
فاذا شئتمُ أمراً في الملا قيل للدنيا أطيعي واسمعي
كلُّ فردٍ منكمُ ابنُ جلا وضعَ العُشّةَ أو لم يضع
بيتُكمْ مغرسُ روحِ العظما كعبةُ المجدِ وبيتُ المقدسِ
فعليه كلُّ خيرٍ قد همى مثل صوبِ العارضِ المنبجسِ

هذا بعضُ ما وقفنا عليه من مخلّفات هذا الطبيب الأديب اثبتناه في هذه الترجمة تخليداً للذكراه ، واظهاراً لفضله ، ودليلاً على ذيوع أدب اللبنانيين في بلاد المهجر .